

رثاء الإمام الحسين عليه السلام في شعر
السيد حيدر الحلّي
دراسة موضوعية فنية

*Imam Hussain's Lament in the Poetry of
Sayyid Haidar Al-Hilli;
Artistic Objective Study*

م.م. إياد نيسي

جامعة خليج فارس في بوشهر
الجمهورية الإسلامية الإيرانية

Asst. Lect. Ayad Neissi

Persian Gulf University of Bushehr

Iran Islamic Republic

مُلخَصُ البَحْثِ

الاهتمام بالأدب الشيعي شغل حيزًا كبيرًا بعد أحداث معركة الطفِّ، وتعدُّ هذه الواقعة من أكثر المعارك جدلًا في تاريخ البشرية، ومن هذا المنطلق فإنَّ لِرثاء الإمام الحسين عليه السلام مكانة مرموقة في الشعر العربي لا يقابلها أي شيء آخر. وقد وجدنا كثيرًا من شعراء أدب الطفِّ برعوا في هذا الفن واشتهروا به، وسيظلُّ الشعر الكربلائي الحسيني نبعًا لا يجفُّ ومعينًا لا ينضب على مرِّ التاريخ؛ لأنَّه ليس ذا بُعدٍ عاطفيٍّ فحسب، بل إنَّه يحمل بين ثناياه بُعدًا دينيًّا، واليوم لا نجد بلدًا إسلاميًّا إلا وانتشر فيه هذا النوع من الشعر الديني في نطاق واسع.

لقد خلصت هذه الدراسة إلى عرض أبرز الملامح والظواهر المختلفة للرثاء الحسيني في شعر السيّد حيدر الحليّ، ونحن في هذه الدراسة اعتمدنا في خطِّها على المنهج الوصفيّ التحليليّ، وقسّمنا جوانب الرثاء في شعره، ثمَّ استخرجنا مواطن جمالها، وأشرنا إلى الميزات البارزة والأساسية للرثاء الحسيني في شعر السيّد حيدر الحليّ. إذ كان رثاء الإمام الحسين عليه السلام في شعر السيّد حيدر الحليّ حزينًا مُفعمًا بالصور المأساوية، فقد رسم الشاعر صورًا مؤثِّرة وحزينة تتألَّم منها القلوب، مع جزالة الأسلوب ورسائنه ونصاعته، وإظهار معاني صادقة، واعتمد على متانة اللفظ والتعبير، وغازارة وصف الوجدان، والمطالبة بالثورة على جبابرة الدهر، وقادة الطُّغاة والهيمنة على مرِّ العصور، مع قوَّة التأثير في

رثاء الإمام الحسين في شعر السيد حيدر الحليّ - دراسة موضوعية فنية

نفس المتلقّي وذهنه.

الكلمات الدلالية: الرثاء، أدب الطّف، الإمام الحسين عليه السلام، السيّد حيدر الحليّ.

مجلة قضائية محكمة تعنى بالتراث الحليّ

Abstract

The interest in Shi'ite literature occupied a great deal after the events of the Battle of Tuff, this incident may be one of the most controversial battles in human history, from this point of view, the lament of Imam Hussein (PBUH) In Arabic poetry, has a Prestigious position, nothing else corresponds to it, we have found many poets of AL-Taf who have excelled in this art and are famous for it, the hussainian Karbalai poetry will remain an inexhaustible source over the course of history, because it is not only an emotional dimension, but in addition, it has a religious dimension.

Today, we can't find an Islamic country without this type of religious poetry has spread widely in it. This study has concluded with the presentation of the most prominent features and phenomena of Hussein lamentations in the poetry of Sayyid Haidar Al-Hali. In this study, we adopted in its plan the descriptive analytical method, divided the aspects of lamentation Then we extracted her beauty.

We referred to the salient and essential features of Hussain lamentations in the poetry of Sayyid Haidar Al-Hali. The lamentation of Imam Hussain (PBUH) in the poetry of Sayyid Haidar Al-Hili was sad and full of tragic images, the poet drew poignant and sad images that hurt the hearts, with the style, the peg and the light, a true meaning, its dependence on the strength of the word and expression, the abundance of the description of the conscience, the accuracy of the description, the demand for the revolution on the titans of the age and the leaders of tyrants and dominance over the ages, with the power to influence the same recipient and his mind.

مقدمة البحث

أصبحت قضية الطفّ ونهضة الإمام الحسين عليه السلام إحدى القضايا العظيمة والمهمّة لدى كلّ المؤمنين على مدى التاريخ؛ لما فيها من طاقات قويّة هائلة تُساعدنا على الصمود أمام قادة الطغاة والهيمنة، وتحدي الصعوبات والمشقّات.

فقد أعطى الإمام الحسين عليه السلام لله تعالى كلّ شيء، وقدّم التضحيات التي لم يشهد التاريخ ولن يشهد مثيلاً لها، وكان عطاؤه غير منقطع، فكان علينا أن يكون عطاؤنا للإمام الحسين عليه السلام ومشاركتنا ومواساتنا بمستوى تضحيته وعطاؤه، حتّى نكون بمستوى الحُبِّ والولاء للعظمة الحسينيّة^(١)، فلو اوقعة الطفّ المؤلمة التي استشهاد فيها الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه الكرام أثر كبير في نفوس الموالين لأهل البيت عليهم السلام، ولذا نلاحظ أنّ محبّي أهل البيت عليهم السلام في كلّ عام يُقيمون العزاء على مُصاب سيّد الشهداء عليه السلام بكلّ فخر واعتزاز، ودموعهم مُنهمرة على خدودهم، وأصواتهم مرتفعة بالبكاء والنحيب، ويجب ألا ننسى بأنّ لأحداث معركة الطفّ بشكل عام، ولقتل الإمام الحسين عليه السلام بشكل خاص حرارة في قلوب المؤمنين لا تبرد أبداً، وكما أسلفنا بأنّ كلّ شخصٍ موالٍ لأهل البيت عليهم السلام يحسّ بعظمة هذه القضية، وهي التي تدفعه إلى المثابرة وتحدي الصعوبات في طريق سيّد الشهداء عليه السلام دون مُبالاة.

يهدف هذا البحث إلى الإجابة عن الأسئلة الآتية:

أولاً: ما هو الدافع الرئيس الذي حثّ الشاعر السيّد حيدر الحليّ على تخصيص بعض أغراض شعره للرثاء الحسينيّ؟

ثانياً: ما هي أبرز جوانب الرثاء الحسينيّ في شعر الشاعر السيّد حيدر الحليّ؟

ثالثاً: ما هي السمات الرئيسة التي يتّسم بها الرثاء الكربلائيّ عند الشاعر السيّد حيدر الحليّ؟

أسبقية البحث

ثمّة دراسات يُشار إليها، أنجزت حول أدب السيّد حيدر الحليّ نخّص منها بالذكر مقالاً تحت عنوان (ديوان السيّد حيدر الحليّ؛ أغراضه وفنونه) للدكتور فارس عزيز مسلم، المنشور في مجلّة مركز بابل، ورسالة جامعيّة لنيل درجة الماجستير في جامعة طهران عنوانها (استنهاض الإمام الحجة في شعر السيّد حيدر الحليّ) للطالب رضا الحكيم، وإشراف الدكتور أحمد سعدي؛ لذا من هذا المنطلق، وعلى الرغم من دراسة واقعة الطفّ وما بعدها في عدّة كُتب أو رسائل وأطاريح جامعيّة، لم نجد دراسة سابقة خاصّة وموسّعة وشاملة حول الرثاء الحسينيّ في شعر السيّد حيدر الحليّ؛ لذا فالوقوف والنظر في الأشعار التي نظمها السيّد حيدر الحليّ في الرثاء الحسينيّ، يفتح لنا باباً جديداً للولوج إلى الأدب الملتزم، وممّا لا غبار عليه، فإنّ هذا البحث يُعدّ وسيلة من الوسائل المعينة للمتطلّعين والباحثين لمعرفة أسرار الإمام الحسين عليه السلام وفضائله.

المبحث الأول

نظرة عابرة في فن الرثاء

الرثاء لغةً: من رثى، رثياً ورثايةً ومرثيةً، ورثأتُ الرَّجُلَ رثاً أي مدحته بعد موته، ورثأتُ المرأة زوجها، كذلك؛ وهي مرثيةٌ^(٢). أمّا الرثاء في الأدب؛ فهو الشعرُ الَّذِي يُعَبِّرُ الشاعِرُ فِيهِ عَن مَشاعِرِ الحُزَنِ واللوعةِ التي تَتَبَّأهُ؛ لِغِيابِ عَزِيزٍ فُجِعَ بِفَقْدِهِ^(٣).

يدور موضوع الرثاء حول ذكر الصفات الحسنة للميت، ويسعى الشاعر من خلال وصفه لهذه الخصال الطيبة والتي هي أيضاً حافلة بذكر الآلام والمرارة والتوجع الباكي والشكوى من الزمان، أن يلهم ذويه الصبر والسلوان؛ لذا نجد هذا النوع من الشعر ينماز من سائر أنواعه بالصدق في العاطفة المتأججة والخفاقة المندفعة اندفاعاً شديداً؛ لتؤثر في قلب المستمع. يقول صاحب كتاب (نوائح نجوم السماء في مصائب عاشوراء): «الرثاء فنٌّ من فنون الشعر الغنائي يُعَبِّرُ فِيهِ الشاعِرُ عَن حُزْنِهِ وَتَفجُّعِهِ لِفَقْدانِ حَبِيبٍ، كَمَا يَتَلَوْنَ الرثاءُ بِألوانٍ مُخْتَلِفَةٍ تَبَعاً لِلطَّبِيعَةِ وَالمزاجِ وَالمواقِفِ؛ إِذا غَلَبَ عَلَيْهِ البِكاؤُ عَلى الرَّاحِلِ، وَبَثَّ اللوعةُ وَالحُزْنَ، كانَ (نُدْباً)، وَإِذا غَلَبَ عَلَيْهِ تَسجِيلُ الخِصالِ الحَمِيدَةِ التي يَتَمَتَّعُ بِها الفَقِيدُ فِي حَياتِهِ كانَ (تأبِيناً) وَإِذا غَلَبَ عَلَيْهِ التأمُّلُ فِي حَقِيقَةِ المَوْتِ وَالحِياةِ كانَ (عَزاءً) وَقَد يَجْمَعُ النُدْبُ وَالتأبِينُ وَالعَزاءُ فِي القَصِيدَةِ الواحدة»^(٤).

وفي العصر الحديث، رثى الشعراء الإنسانية بشكل عام، ورثوا أنفسهم بشكل خاص، وغاصوا في وجدانياتهم وتأملاتهم، كذلك رثوا العروبة ورثوا الأخلاق، فضلاً عن رثاء الأحبة^(٥)، وعند حديثنا عن عصرنا الحاضر، لا نقصد جميع الشعراء الذين ظهروا في هذه المدة الزمنية، بل نقصد الشعراء الذين ظهروا في بداية هذه الحقبة، ففي بداية هذا العصر نشطت كثير من الحركات الوطنية التي تسعى لتحرير بلادها من محالب الاستعمار، فلهذا أصبح للشخصيات الوطنية والقومية حصة من الرثاء، فنرى حافظ إبراهيم مثلاً يرثي الزعيم المصري الراحل مصطفى كامل بأبيات يصور بها كثرة المشيعين والحزن الكبير الذي ألمّ بهم جرّاء رحيل هذا الزعيم الوطني:

تسعون ألفاً حول نعشك خُشَعُ
يَمْشُونَ تَحْتَ لَوَائِكَ السَّيَّارِ
خَطُّوا بِأَدْمُعِهِمْ عَلَى وَجْهِ الثَّرَى
لِلْحُزَنِ أَسْطَارًا عَلَى أَسْطَارِ
أَنَايُ وَالْوَنَ الضَّجِيجِ كَأَتَمِّمْ
رَكْبُ الْحَجِيجِ بِكَعْبَةِ الزَّوَارِ^(٦)

كذلك شاع لونٌ جديدٌ من الرثاء لم يكن شائعاً في العصور المنصرمة، وهو رثاء الشعراء بعضهم بعضاً، كرتاء بشاره الخوري أحمد شوقي، إذ يقول فيه:

قِفْ فِي رَبِّي الْخُلْدَ وَاهْتِفْ بِاسْمِ شَاعِرِهِ
فَسِدْرَةُ الْمُنْتَهَى أَدْنَى مَنَابِرِهِ
وَأَمْسَحْ جَبِينِكَ بِالرُّكْنِ الَّذِي انْبَلَجَتْ
أَشْعَةُ الْوَحْيِ شِعْرًا فِي مَنَائِرِهِ

إلهة الشعر قامت عن ميامنه

ورببة النثر قامت عن مياسره^(٧)

لا نجد حُرقةً أو عاطفةً أو إحساسًا مُرهفًا في هذه القصيدة، بل أكثر ما تُشير إلى
براعةِ الرائي في الشعرِ والنثر.

وكانت ألوانُ الرثاءِ التقليديَّة حاضرةً في هذا العصر، حيثُ نرى الرثاءَ العائليَّ،
ورثاءَ الأقرباء، ورثاءَ أصحاب المناصب، ورثاءَ الخِلاَّن وغيرهم، ومن ذلك قول محمود
سامي البارودي في رثاءِ زوجته:

أيدَ المنونِ قدحتِ أيَّ زنادِ

وأطرتِ أيَّةَ شُعلةٍ بفؤادي

أوهنتِ عزمي وهُوَ حملةٌ فيلقِ

وحطمتِ عُودي وهُوَ رُمحُ طرادِ

لم أدْرِ هلَ خطبُ ألمٍ بساحتي

فأنَّخ، أم سَهْمٌ أصابَ سَوادي^(٨)

أمَّا أسلوبُ الرثاءِ في بداياتِ العصر الحديث، فهو تقليدٌ للأسلوبِ العباسيِّ من
حيثُ المعنى واللفظ؛ وذلك لأنَّ شعراءَ هذه الحقبة جعلوا من الشعرِ العباسيِّ خارطةَ
طريقٍ لهم من أجلِ النهوضِ بالشعرِ العربي؛ لذا عُرِفَت هذه المدرسة التي ينتمي إليها
هؤلاء الشعراءِ بمدرسةِ البعثِ أو الإحياء.

المبحث الثاني

أدب الطف

أثارت قضية واقعة الطف وما تحمل بين جنباتها من محن وأحزان وملمات، مشاعر شعراء الشيعة وأحاسيسهم، ففاضت على ألسنتهم أجمل القصائد في رثاء أهل البيت عليهم السلام، والتي يفوح فيها عقب الشهادة الذي انطلق من معركة الطف. وما عرفت البشرية جمعاء عظيماً من أبنائها قيل فيه من الشعر ما قيل في الحسين بن علي عليهما السلام، ولو تصدّى متبّعٌ للموازنة بين ما نُظم فيه، وما نُظم في عظماء الدنيا مجتمعين سوى أهل البيت عليهم السلام، لتعادلت الكفتان، أو رجحت كفة الحسين عليه السلام ^(٩).

ويجب ألا ننسى بأنه كان لتشجيع الأئمة الأطهار عليهم السلام وحثهم وترغيبهم محبيهم على قول الشعر في فضائلهم ومزاياهم، وما يناله الشاعر الحسيني من منزلة عالية بعمله هذا، الأثر الكبير في تحفيز شعراء الرثاء الحسيني، إذ أعطى موقف أهل البيت عليهم السلام للشعر الرثائي حافزاً دينياً إلى جانب الحافز العاطفي، وكان من الدوافع الأساسية والقوية التي أدت إلى اتجاه شعراء الشيعة نحو الأدب الولائي المنظوم، والإكثار من هذا اللون في شعرهم، وما تمخض عنها من تأجيج الحمية الدينية، وتعزيز العلاقة العاطفية والعقيدية بأهل بيت النبوة عليهم السلام. ومن هذا المنطلق نُشير إلى ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في هذا السياق، فإنه قال: «من قال فينا بيت شعر بنى الله له بيتاً في الجنة» ^(١٠)، وهذا هو ما أكد عليه القرآن الكريم، قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا

من تقوى القلوب ﴿١١﴾.

إذن عندما يقوم الشاعر الشيعي بنظم الشعر وإنشاده في فضائل أهل البيت عليهم السلام ومناقبتهم، فإنه عمل عملاً دينياً يدخل في تعظيم شعائر الله ﷻ، وإن عمله يكون من أعمال التقوى، لذا عندما يقوم شعراء الرثاء الحسيني بتجسيد واقع أهل البيت عليهم السلام العملي قولاً وفعلاً، ويسعون لتسليط الأضواء عليهم بهذا الجهاز الإعلامي الفاعل، فإنهم بعملهم هذا يعرفون عامة الناس مظلومية أهل بيت النبوة عليهم السلام، وأنواع الاضطهاد التي مارسها السلطات الجائرة، وفي الوقت نفسه يدافعون عن العقيدة الإسلامية الأصيلة ودينهم الحنيف أمام الدعايات الكاذبة التي تصدر عن الضجيج الإعلامي المخالف وعمالئهم الخونة والمجرمين الذين يسعون في الأرض فساداً؛ ليستتب لهم الأمر من أجل محاربة الإسلام والمسلمين، والوصول إلى أطماعهم ومصالحهم، ولكن هذا الموقف المضاد الذي اتخذته السلطات المتعاقبة من موضوع رثاء الحسين عليه السلام لم يؤثر على نمو الشعر الحسيني الرثائي، بل لعله زاده نمواً وحرارةً، وجعل شعراء الشيعة يمارسونه بروح الفداء والتضحية والتقوى ^(١٢).

فإن ثورة الإمام الحسين عليه السلام كانت من أجل إصلاح أمة جدّه الرسول الأعظم محمد ﷺ، ولخلاصها من برائن الجهل والظلم، وإحياء أحكام القرآن على أساس العقيدة الإسلامية الأصيلة التي يقوم عليها بناء الدين، فما دام دين الإسلام والقرآن الكريم مخلداً أبد الآباد، وقد حفظه الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ ^(١٣).

فتورة سبط النبي الأكرم ﷺ - الإمام الحسين عليه السلام - محفوظة ومخلّدة أيضاً مع الإسلام والقرآن إلى يوم الدين، فكان مجرد ذكر الاسم الشريف مدعاة للتضحية بكل معانيها، والشهادة بأقصى درجاتها، فهو القدوة لكل الأحرار ^(١٤).

إن الحسين عليه السلام قد مضى على استشهاده ألف وثلاثمئة وثمانون سنة أو تزيد، ومن

يومه إلى يومنا هذا، والأجيال من قوميات شتى ينظمون فيه الأشعار بالفصحى وغير الفصحى، وقد تغيرت الحياة ومرّت بالعديد من الأطوار، وقصّت على الكثير من العادات، إلا الاحتفال بذكرى الحسين عليه السلام، والتهاف باسم الحسين عليه السلام نثرًا وشعرًا، فإنه ينمو من عصرٍ إلى عصر، تمامًا كما تنمو الحياة، وسيستمر هذا النمو^(١٥).

كان شعر الرثاء الحسيني صورة للموقف النفسي للإنسان الشيعي بوجهٍ خاص، وللإنسان المسلم بوجهٍ عام، فقد كان شعر الرثاء الحسيني حزينًا في غير ذلك ولا روح انهماجية أمام قسوة الواقع وتحدياته^(١٦)، وتعدّ المدّة الواقعة بين استشهاد الحسين عليه السلام ونهاية الدولة العباسية سنة (٦٥٦هـ / ١٢٥٨م)، من أخصب عصور الشعر الكربلائي، لسببٍ واحد؛ وهو أنّ الأئمة في ذلك الزمن وأتباعهم من شيعتهم المخلصين كانوا يشجّعون هذا النوع من الشعر، ويشبون عليه، ويكرمون قائله^(١٧).

ومهما يكن من أمر، فإن واقعة الطفّ كانت المحرّك الأساسي والباعث الرئيس في إثارة الشعراء منذ حلولها إلى الآن، ومن ثمّ لو وصفنا ما قيل من قصائد وأشعار في هذه الواقعة بـ(الطفّيات)، لكان أعلق بالموضوع وأكثر ارتباطًا به من غيره من المصطلحات أو المسميات^(١٨). الطفّيات مصطلح آثر الباحث نسبه إلى لقصائد المتضمّنة وصفًا لواقعة الطفّ وما جرى فيها من فاجعة حلّت بالإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه، ولا ريب في أنّ هذا المصطلح يشمل جميع القصائد التي بكت الحسين عليه السلام وتفعّجت بمقتله في تلك الواقعة الأليمة منذ حلولها سنة إحدى وستين للهجرة إلى الآن^(١٩).

المبحث الثالث

نظرة عابرة على حياة السيد حيدر الحلي وشخصيته في شعره

هو أبو سليمان السيد حيدر بن سليمان بن داوود بن سليمان بن داوود... بن يحيى ابن الحسين ذي الدمعة ابن زيد الشهيد ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام الحسيني الحلي^(٢٠)، ولد السيد حيدر في الحلة في ١٥ شعبان سنة ١٢٤٦ هـ / ١٨٣٠ م، وقبل أن يكمل عامه الثاني من عمره، فقد والده، فعاش يتيمًا، وتولّى تربيته عمّه السيد مهديّ، وكانت وفاته بالحلة يوم التاسع من ربيع الثاني، وحمل إلى النجف فدفن في الصحن الشريف أمام الرأس الشريف^(٢١). له ديوان سمّاه الدرّ اليتيم طبع في بومبي في الهند على الحجر، وكتاب العقد المفصل في نعت قبيلة المجد المؤثّل، وهو مطبوع أيضًا، وكتاب الأشجان في مرثي خیر إنسان، وهذا الكتاب لا يزال مخطوطًا، وكتاب دمية القصر في شعراء العصر، وهذا الكتاب أيضًا لا يزال مخطوطًا، وتعدّ حولياته في الإمام الحسين عليه السلام من أشهر شعره^(٢٢).

كان شاعرًا بارعًا غير منازع، وأديبًا أريبًا لم يدافع، وكان ذا إلمام بالعربيّة، مصنّفًا، ضمّ إلى الأدب نسكًا وتقوى^(٢٣)، يقول فيه صاحب كتاب أعيان الشيعة إنّه كان لغويًا عارفًا بالعربيّة شهيمًا أديبًا، وقورًا تقيًا، عليه سمات العلماء الأبرار، كثير العبادة والنوافل، كريم الطبع^(٢٤)، ويقول الشيخ يعقوبيّ عنه: كان أبيّ النفس، واسع الجاه، عظيم القدر^(٢٥)، وكان يتمتّع بمكانة سامية في الأوساط العلميّة والأدبيّة^(٢٦)، وكان

له ولأسرته أثر بارز في أدب مدينة الحلة وشعرائها، شعره حسن، ترفع به عن المدح والاستجداء، وكان موصوفاً بالسخاء^(٢٧)، ويقول عنه الدكتور الشيخ أحمد الوائلي عليه الرحمة: «يظل شعر السيد حيدر الأفق الذي تحتدم أجواؤه بما لا يسع البيان تصوُّره من الأبعاد الملتهبة»^(٢٨).

ومما لا غبار عليه أنَّ الشاعر تأثر بعبقريَّة الشاعرين الشريف الرضي، ومهيار الديلمي؛ لذا كانت للشاعر صلة وطيدة بالشاعرين المذكورين، وفي الوقت نفسه، ومع وجود بون شاسع يفصلهم زمنياً، كان لهما تأثير قوي في شاعريته؛ وذلك لأنَّه درس شعر الرضي دراسة تحليلية، ودوّن معظم قصائده والمختار من ديوانه في مجاميعه الأدبية، ونسخ ديوان مهيار بكامله في أربعة أجزاء بالقطع الكبير، كتبه وهو ابن ٢٥ سنة، وكتب في آخره: تمَّ الجزء الرابع من ديوان مهيار الديلمي على يد المحتاج إلى ربِّه الغني حيدر بن سليمان الحسيني يوم الاثنين وهو اليوم السابع عشر من شوال ١٢٧١هـ.

ومن ثمَّ تجده قد ألمَّ بكثير من معاني الشريف ومهيار، وأودعها في قصائده بقوالب من الألفاظ، ربَّما تكون أحياناً أقوى وأجزل من الأصل^(٢٩).

السيد حيدر الحلي هو من مفاخر شعراء العراق وكبار شعرائه في العصر الحديث، فإنَّه خطيب مفوه وأديب كبير، امتلك ثقافة متنوعه، وتصلح في الفقه والأصول والأدب العربي. ومما يلفت النظر هو أنَّ الشعر في هذه الفترة، وبالتحديد في مدينة الحلة، لم يكن مقصوراً على طبقة خاصه من المجتمع، ممَّا تمخَّص عن ظهور عدد من الشعراء الذين كانوا في الأصل من كبار الفقهاء والعلماء في تلك الحقبة الزمنية.

هيمنت على شعره العاطفة الدينية، فاتخذ من أعلام المذهب وتاريخه مصدراً

يستقي منه الموضوع والفكرة والصورة والسياق والمعنى، ويحرص على إيراد مصطلحاته ومواقفه عبر التاريخ^(٣٠).

ويجب ألا ننسى بأن الشاعر أصله من الحلة، وكانت الحلة ولاتزال من أهم مراكز الشيعة على صعيد العلم والأدب والثقافة، فكان للشاعر السيد حيدر الحلي أثر مهم وإيجابي في نهوض الأدب الملتزم في هذه الحقبة، فإنه دافع عن العقائد الشيعية وأفكارهم، وتجلى هذا الأمر في أشعاره ومعانيه الشعرية التي هي في مدح أهل بيت النبوة ﷺ ورتائهم، وذكر فضائلهم.

المبحث الرابع

أهم جوانب رثاء الإمام الحسين عليه السلام في شعر السيد حيدر الحلبي

السيد حيدر الحلبي قبل أن يكون شاعرًا وأديبًا كبيرًا، فإنه كان من كبار علماء المدرسة الجعفرية، فكان شعره صورة واضحة عن أهدافه الروحية وأغراضه، واتخذ الشعر وسيلة للعروج إلى السماء، ويثبت لنا بأن للشعر عنده درجة عالية سامية، فمن هذا المنطلق، وبالنظر إلى ما أسلفناه في بداية الحديث عن جوانب هذا الحدث المهم، وجدنا بأن من الواجب علينا أن نعطي صورة واضحة مختصرة عن دور هذا العالم الكبير في مجال أدب الطف.

لقد تطرقتنا في هذه الدراسة إلى أهم جوانب أغراض شعر السيد حيدر الحلبي، ألا وهو رثاء الإمام الحسين عليه السلام، فإن الشاعر صَوَّرَ مشهد واقعة الطف تصويرًا دقيقًا، بسحر تخيله الشعري الخلاب الذي يأخذ بمجامع القلوب، وكان تعبيره في هذه القضية تعبيرًا عاطفيًا وقادًا يؤجج لهيب نيران الحزن الرسالي في النفوس، ويوقظ فيها مشاعر الثورة ومعاني التحرر.

ففي هذا القسم، قمنا بقراءة جميع الأبيات المنسوبة إلى الإمام الحسين عليه السلام، ومن ثم قمنا بدراسة الأبيات ذات الصلة بموضوع بحثنا هذا، وهي كالآتي:

أولاً: التذكير بنسب الإمام الحسين عليه السلام الشريف

مَّا لَا غِبَارَ عَلَيْهِ أَنَّ الْإِمَامَ الْحُسَيْنَ عليه السلام مِنْ سَلَالَةِ آبَاءِ كِرَامٍ، وَكُلُّهُمْ سَادَةٌ وَقَادَةٌ، وَهُمْ مَكَانٌ مَكِينٌ وَمَقَامٌ عَظِيمٌ بَيْنَ الْعَرَبِ وَسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ، لِذَا عِنْدَ قِرَاءَتِنَا هَذِهِ الْآيَاتِ نَحْسُ بِمَشَاعِرِ السَّيِّدِ حَيْدَرَ الْحَلِيِّ الْمَرْهَفَةِ تَجَاهَ أَهْلِ بَيْتِ النَّبِيِّ عليه السلام، مَعَ قُوَّةِ الْبَيَانِ وَبِرَاعَةِ الْأَسْلُوبِ الَّتِي فِي شِعْرِهِ، فَكَأَنَّ الشَّاعِرَ عَلَى نَسَبِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ عليه السلام الشَّرِيفِ؛ لِيَصُورَ لِلْمَتَلَقِّي فَخَامَةَ شَأْنِ أَهْلِ بَيْتِ الرَّسَالَةِ عليه السلام، وَمَكَانَتَهُمُ الْفَرِيدَةَ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ، مُشِيرًا إِلَى تَجَاهِلِ الْأَعْدَاءِ مَزِيَةَ النَّسَبِ الشَّرِيفِ وَمَنْزِلَتِهِ الْمَرْمُوقَةِ، وَكَفَى بِالْإِمَامِ الْحُسَيْنِ عليه السلام فَخْرًا أَنَّهُ سَبَطَ الرَّسُولَ الْأَكْرَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

وَهُمْ خَيْرٌ مَنْ تَحْتَ السَّمَاءِ بِأَسْرِهِمْ

وَأَكْرَمُ مَنْ فَوْقَ السَّمَاءِ وَأَشْرَفُ^(٣١)

وَمَنْ الْجَدِيرُ بِالذِّكْرِ هُنَا هُوَ أَنَّ الشَّاعِرَ فِي هَذَا الْبَيْتِ أَشَارَ أَيْضًا إِلَى أَبْرَزِ الصِّفَاتِ الَّتِي انْمَازَ بِهَا أَهْلُ بَيْتِ النَّبِيِّ عليه السلام طَوَالَ حَيَاتِهِمُ الْمُبَارَكَةِ، أَلَا وَهِيَ صِفَةُ الْكِرَمِ وَالسَّخَاءِ، فَكَانَ الْإِمَامُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام يَسْعَى جَاهِدًا لِإِشْبَاعِ جُوعِ الْفُقَرَاءِ وَإِغَاثَتِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَالَ اللَّهُ الْحَكِيمُ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ الْكَرِيمِ: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَتَيْبًا وَأَسِيرًا﴾^(٣٢).

فَأَكَّادَ السَّيِّدُ حَيْدَرَ الْحَلِيِّ مَرَّةً أُخْرَى عَلَى النَّسَبِ الشَّرِيفِ فِي الْآيَاتِ الْآتِيَةِ، وَلَكِنْ الشَّيْءُ الْأَهَمُّ هُنَا هُوَ إِفَادَةُ الشَّاعِرِ مِنْ اسْتِعَارَةِ جَمِيلَةٍ فِي الشُّطْرِ الثَّانِي مِنَ الْبَيْتِ الْأَوَّلِ، وَالْمَقْصُودُ مِنْ ذَلِكَ هُمْ أَهْلُ الْإِسْلَامِ الْحَقِيقِيُّونَ وَأَهْلُ الصَّلَاةِ؛ وَذَلِكَ لِبَيَانِ أَهْمِيَّةِ الْمَوْضُوعِ، قَائِلًا:

[مجزوء الكامل، والقافية من المتواتر]

وَبَنُوا السَّفَاحَ تَحْكَمُوا
فِي أَهْلِ حَيِّ عَلَى الْفَلَاحِ
وَبَسِطَ أَحْمَدَ عَلَيْهِ أَحْدَقْتُ

بِشْبَا الصَّوَارِمِ وَالرَّمَّاحِ^(٣٣)

الإمام الحسين عليه السلام في شعر السيد حيدر هو الأسد الهام والبطل المقدم الذي لم يسجد طوال حياته المباركة لغير الله، ومما لا غبار عليه أن في هذه الأبيات دلالة صريحة على أفضلية الإمام الحسين عليه السلام لأمر الخلافة، وتقدمه على الآخرين، يقول الشاعر السيد حيدر الحليّ:

[من الطويل، والقافية من المتدارك]

أَعِدْ نَظْرًا نَحْوَ الْخِلَافَةِ أَيُّهَا
أَحَقُّ بِأَنْ تَصِفُو عَلَيْهِ ثِيَابُهَا
أَمَّنْ هُوَ نَفْسٌ لِلنَّبِيِّ؟ أَمْ الَّتِي
لَهُ كَانَ دَاءًا سَلِمُهَا واقترابها؟^(٣٤)

الشاعر السيد حيدر الحليّ في استخدامه هذه العبارات «أهل حيّ على الفلاح» و«سبط أحمد عليه السلام»، و«نفس للنبي»، يُعبّر عن مكانة الإمام الحسين عليه السلام الفريدة عند النبي صلى الله عليه وآله بشكل خاص، وعند المسلمين بشكل عام، والتنبيه إلى أحقية الخلافة في أهل الهدى عليه السلام.

ثانيًا: ذكر قساوة قلوب السلطة المعادية للإسلام

الشاعر السيد حيدر يُصوّر هنا شدة مُعاناة الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته الكرام عليه السلام على رمضاء كربلاء، هذه الأرض الواسعة التي لا ماء فيها ولا كلاً، فأشار الشاعر

إلى عظمة المصيبة، وعطش الإمام الحسين عليه السلام ضمناً؛ ليزيل الستار عن حقيقة السلطة
الأموية المعادية للإسلام، وقساوة قلوب جلاوزة يزيد الكفرة الفجرة، فكأن الإمام
الحسين عليه السلام سألهم ليسقوه شربة من الماء، ولكنهم لم يعطوه:

[من الكامل، والقافية من المتدارك]

فوديعه الرحمن بين عباده
قد أودعته أمية رمضاءها
صرعته عطشاً صريعة كأسها
بتنوفة سدّت عليه فضاءها^(٣٥)
وقال الشاعر في هذا المضمار أيضاً:

[من الرمل، والقافية من المتواتر]

قتلت صبراً على مشرعة
وجدت فيها الردى أصفى سجلاً
يوم آلت آل حرب لا شفت
حقدها إن تركت لله آلاً^(٣٦)

[من البسيط والقافية من المتراكب]

حنت وبين يديها فتية شربت
من نحرها نصب عينيها الضبا الخدم
موسدين على الرمضاء تنظرهم
حرى القلوب على ورد الردى ازدحموا^(٣٧)
وفي جانب آخر من القصيدة، يُصوّر الشاعر لنا أيضاً هذا المشهد المؤلم وهول

المصاب بصورة أخرى، مُنددًا بالأمويين، ومُشيرًا إلى الشدائد والنكبات التي تعرّض لها آل البيت الأطهار عليهم السلام في معركة الطفّ الدامية على أيدي أناس يزعمون أنّهم مسلمون والإسلام منهم براء، فإنّ جلاوزة يزيد حالوا بين الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه النُجباء، وبين الماء، ومنعواهم أن يستسقوا منه قطرة:

[من الكامل، والقافية من المتدارك]

وُقلوب أبناء النبي صلى الله عليه وآله تفتّرت

عَطَشًا بِقَفْرِ أَرْمَصَتْ أَشْلَاءَهَا^(٣٨)

وكما أنشد الشاعر السيّد حيدر الحليّ في قصيدة أخرى قائلاً: [من الطويل، والقافية

من المتدارك]

كجمر الغضا أكبادُهِنَّ مِنَ الظَّما

بِقَفْرِ لُعبِ الشَّمسِ فِيهِ شَراهُما

تُرَدِّدُ أَنْفاسًا حِرارًا وَتَنشِني

لِها عَبرَاتٌ لَيْسَ يُشْنى انصِباًها^(٣٩)

الشاعر السيّد حيدر الحليّ في استخدامه مفردة «جمر الغضا» و«أنفاسًا حرارًا»،

أراد أن يُعبّر عن مدى مظلومية الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه وأهل بيته عليهم السلام. ومن

هنا نرى بأنّ هذه الكلمات هي مؤشّر واضح على الاضطهاد الذي تعرّض له الإمام

الحسين عليه السلام وأهل بيت الرسالة عليهم السلام، وإذا نظرنا من جانب آخر إلى هذه القضية،

فإنّها تدلّ على قساوة قلوب جلاوزة يزيد المتحجّرة، وفضاظتهم؛ ولذا فمن الطبيعي

أن تفتّ هذه المحنّ والملمات التي تعرّض لها أهل البيت عليهم السلام في معركة الطفّ حشا

الصابر.

فالمحن والنكبات التي تعرّضوا لها تفتت القلوب، وتُدمي قلوب جميع البشر، وهذه من المصائب التي لا ينشد الصبر في مثلها، بحيث لم ينجُ أيُّ أحدٍ من هذا الاضطهاد الأمويّ، فعندما طلب الإمام الحسين عليه السلام شربة من الماء لولده الرضيع الذي جفّ ريقه عطشًا، كان الرُدُّ هو ذلك السهم المسموم الذي ذبحه في حجر أبيه، فأخذ يرفرف كالطير المذبوح من شدّة الألم:

[من البسيط، والقافية من المتراب]

فَحَمَلْ أُمَّكَ قِدْمًا أَسَقَطُوا حَنْقًا

وطفل جدك في سهم الردى فطموا^(٤٠)

وقال الشاعر أيضًا في هذا المضمار منشدًا:

[من مجزوء الكامل، والقافية من المتواتر]

أَتَرَى تَجِيءَ فَجِيعة

بأَمْضٍ من تلك الفجيعة

حيث الحسين على الثرى

خيل العدى طحنت ضلوعه

قتلته آل أميَّة

ظام إلى جنب الشريعة

ورضيعه بدم الوريد

مخضّب فاطلب رضيعه^(٤١)

ثالثًا: الإباء والشجاعة

إنَّ كربلاء كانت ولا تزال منارة البطولة والفداء، ومنهج حياة للبشريّة جمعاء

على مرّ العصور. تحدّث الشاعرُ هنا عن بطولة الإمام الحسين عليه السلام الجسديّة وبسالته في ساحة الوغى، التي أظهرها في مواجهته مع الطّغاة وجباة الدهر، وتحدّث الشاعر عن بلائه العظيم في المعارك، ورفضه للإذعان لقوى الشرّ دفاعاً عن الحقّ والقيم الإنسانيّة المثلى، فإنّه كان مُستعدّاً لقبول أيّ مكروه، فكان سيّد شباب أهل الجنة عليه السلام لا يخشى مُواجهة العدوّ وجهاً لوجه، فقد حارب الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه النجباء، الطغيان بالشجاعة والعزّة، وأبلوا بلاءً حسناً وعظيماً، وقدّموا أنفسهم فداءً لدينهم وأمتهم بعزّة وكبرياء، مع أنّهم لا يأملون نصراً عسكريّاً؛ لأنّ الموت في سبيل الحقّ هو الانتصار العظيم الذي من خلاله تُخلد مبادئ الثورة الحسينيّة، وهذا هو ما أكّد عليه الله ﷻ في محكم كتابه الكريم: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٤٢)، قال:

[من الخفيف، والقافية من المتواتر]

كُلَّمَا سَأَلْتَ الْكَفَّاحَ حَديداً
عَلَّمَ الرَّاسِيَاتِ كَيْفَ الثَّبَاتِ
مُنْتَضِ لِّلْوَعَى صَفِيحَةَ عَزْمٍ
وَهُوَ تِلْكَ الصَّفِيحَةُ الْمُنْتَضَاةُ
إِنْ يَمُتْ فَالْفِرْنَدُ ذَاكَ الْفِرْنَدُ ال
مُجْتَلَى وَالشَّبَابَةُ تِلْكَ الشَّبَابَةُ
كَفَلْتَهُمْ بِحَجْرِهَا الْحَرْبُ قَدَمًا
وَالْمَوَاضِي عَلَيْهِمْ حَانِيَاتِ
وَإِذَا مَا انْتَسَبْتَهُمْ فَفَتَاهُمْ
أَبْوَاهُ الْهَيْجَاءِ وَالْمَرْهَفَاتِ^(٤٣)

وَأَنشَدَ السَّيِّدَ حَيْدَرَ الْحَلِيِّ أَيْضًا فِي هَذَا الْمَعْنَى أَيْبَاتًا صَوَّرَ لَنَا فِيهَا جَوَانِبَ أُخْرَى مِنْ بَسَالَةِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي سَاحَةِ الْوَعْيِ، وَيَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نُشِيرَ هُنَا إِلَى بَعْضِ هَذِهِ الصُّورِ الْبَطُولِيَّةِ، وَهِيَ كَالآتِي: «أَبُو الْأَشْبَالِ»، وَ«جَيْشًا مِنْ الْأَجَلِ الْمَتَّاحِ»، وَ«يَلْقَى الْكُتَيْبَةَ مُفْرَدًا»، وَ«تَفَرُّ دَامِيَةَ الْجِرَاحِ». أَرَادَ الشَّاعِرُ السَّيِّدَ حَيْدَرَ الْحَلِيِّ بِتَجْسِيدِهِ هَذِهِ الصُّورَ الشَّعْرِيَّةَ أَنْ يُعَبِّرَ عَنِ بَسَالَةِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَشَجَاعَتِهِ:

[من مجزوء الكامل، والقافية من المتواتر]

ظَنَنْتُ بِمَا اقْتَرَحْتَ عَلَيَّ
 هِ أَنْ يَخِيمَ مِنَ الصَّفْحِ
 فَمَتَى أَبُو الْأَشْبَالِ رُوِّ
 وَعَ يَا أُمَيَّةُ بِالنُّبَاحِ
 فَزَحَفْتِ فِي جُنْدِ الضَّلَا
 لِ إِلَى ابْنِ مُعْتَلِجِ الْبَطَاحِ
 فَلَقَيْتِ مِنْ عَزَمَاتِهِ
 جَيْشًا مِنَ الْأَجَلِ الْمَتَّاحِ
 وَغَدَا يَقِي دِينَ الْإِلَهِ
 بِحُرِّ وَجْهِهِ كَالصَّبَاحِ
 يَلْقَى الْكُتَيْبَةَ مُفْرَدًا
 فَتَفِرُّ دَامِيَةَ الْجِرَاحِ
 وَإِذَا دَعَاؤُا: حَيْدِي حَيَا
 سِدَّعَا بِحَيِّ عَلَى الْكِفَاحِ^(٤٤)

وَكَرَّرَ الشاعر السيّد حيدر الحليّ تصوير الروائع من هذه البطولات الملحمية في قصيدة أخرى منشداً:

[من الطويل، والقافية من المتدارك]

وهم يكشفون الخطب لا السيف في الوغى
بأَمْضَى شِبا منهم، ولا هو أرهفُ
إذا هتف الداعي بهم يوم من دم
الفوارس أفواه الضبا ترشّفُ
أجابوا ببيض طائعا يقف القضا
إلى حيث شاءت ما يزال يصرفُ
ومن تحتها الآجال تسري وفوقها
لواء من النصر العزيز يرفرفُ
لهم سطوات تملأ الدهر دهشة
وتنبث منها الشم والأرض ترجفُ^(٤٥)

أشاد الشاعر السيّد حيدر الحليّ هنا بما بذله الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه من أجل مكافحة الطغاة وجابرة الدهر، ومن هذا المنطلق فإنّ الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه الكرام أبوا الدلّ والهوان والحياة مع الظالمين، وكانوا مُستعدين ليضحّوا بالغالي والنفيس، فتمكّنوا من إرضاخ العدو أمام مطالبهم وغاياتهم، وكسبوا الحياة الخالدة فانتصر الدّم على السيف، وأصبحت مبادئ هذه الثورة الحسينية من أهمّ الأسس الدينيّة، والمرتكزات الثقافية للمسلمين والبشريّة بشكل عام، وللشيعة بشكل خاص. لقد صوّر لنا الشاعر الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه الكرام بصفتهم رمزا للبسالة والمقاومة، بصورة السباع الضواري، ثمّ صوّر القوم الذين في جبهة الباطل بصورة الأشخاص الضعفاء، ومن هنا نرى بأنّ الشاعر باستخدامه هذا التشبيه أعطى لقصيدته

جمالًا وابتكارًا:

[من البسيط والقافية من المتركب]

مشوا إلى الحرب مشي الضاريات لها
فصارعوا الموت فيها والقنا أجمُ
ولا غضاضة يوم الطفّ أن قتلوا
صبرًا بهيجاء لم تثبت لها قدمُ
فالحرب تعلم إن ماتوا بها فلقد
ماتت بها منهم الأسياف لا الهمم^(٤٦)
وَأَنشَدَ الشاعر السيّد حيدر الحليّ مرّةً أخرى في هذا السياق قائلاً:

[من البسيط، والقافية من المتركب]

يوم تجهم وجه الموت فيه وقد
لاقى ابن فاطمة جذلان مبتهجا
في فتية كسيوف الهند قد فتحوا
من مغلق الحرب في سمر القنا الرتجا
وأضرموها على الأعداء ساعة
ثمّ اصطلوا دونه من جمرها الوهجا
ضراغمُ إن دعا داعي الكفاح بهم
نزي من الرعب قلب الموت واختلجا
ما فوخروا في الوغى إلاّ قضت لهم
غمارها أنهم كانوا لها ثبجا^(٤٧)

كرّر الشاعر لنا في هذه القصيدة تصوير بسالة الإمام الحسين عليه السلام وشجاعته في هذه

الملحمة البطولية، وهو يحدُّ رؤوس الأعداء ولا يخشى الموت، فعبست وجوه القوم
خوف الموت؛ لأنهم أشرفوا على الهلاك:

[من الكامل، والقافية من المتواتر]

لما طليقة جده وردت
لقتاله يقتادها رجسٌ
يلقى الرماح بصدرة وكان
يوم الكريهة صدره ترسٌ
فالشوس تأنس بالفرار كما
بالموت منه تأنس النفسُ
ويروم كلُّ سبق صاحبه
هربا فيسبق جسمه الرأسُ
للمرهفات نفوسهم وجسومهم
للوحش لم يشقق لها رمسٌ^(٤٨)

رابعاً: ضلالة اتباع زمرة يزيد ووصف فضاة أعمالهم البشعة

يُصوِّر لنا الشاعر السيد حيدر الحليُّ في هذه الأبيات حال جلاوزة يزيد الكفرة
الفجرة في عدم انصياعهم للإيمان والإسلام، وفي ذلك دليل على مخالفتهم لأوامر
الإسلام والانقياد لأوامر قادة الطُّغاة، ووقوعهم في ظلمات الضلالة، واتباعهم
لأهوائهم وشهواتهم وإيثارها على الحقِّ، وتسليمهم لأوامر أجهزة السلطة الحاكمة. كما
وصفهم الله بذلك في آيات بيِّنات، وحُجج نيرتات، وبراهين ساطعات، منها قوله تعالى:
﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَارْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كَلَّمْنَا بَأْسًا لَّا تَهْوَى

أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذِبًا وَأُخْرًا يُقْتُلُونَ ﴿٤٩﴾.

قال الشاعر:

[من الكامل، والقافية من المتدارك]

إِذْ أَلْقَحَ ابْنُ طَلِيْقٍ أَحْمَدَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَنَةً
وَلَسَدَتِ قُلُوبَهُمْ بِهَا شَحْنَاءَهَا
حَشَدَتِ كِتَابِهَا عَلَى ابْنِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ
بِالطَّفِ حَيْثُ تَذَكَّرَتِ آبَاءَهَا
يَلْقَى ابْنُ مُنْتَجَعِ الصَّلَاحِ كِتَابًا
عَقَدَ ابْنُ مُنْتَجَعِ السَّفَاحِ لَوَاءَهَا^(٥٠)
وَأَنْشَدَ الشَّاعِرُ مَرَّةً أُخْرَى فِي هَذَا الصَّدَدِ مَخَاطَبًا جَلَاوِزَةً يَزِيدُ الْكُفْرَةَ:

[من الطويل، والقافية من المتدارك]

أُمِيَّةٌ هَبِي مِنْ كَرَى الشَّرْكَ وَأَنْظِرِي
فَهَلْ أَسْرَتِ لِلْأَنْبِيَاءِ عَقَائِلُ
فَمَا لِلنِّسَاءِ الْمُحَصَّنَاتِ وَلِلسَّرَى
تَجُوبُ بِهَا الْبِيدَاءُ عَيْسٌ هَوَازِلُ
وَمَا لِبَنَاتِ الرِّسُولِ وَلِلظَّمَا
بِقَفْرِ بِهِ لِلْحَرِّ تَغْلِي مَرَاجِلُ^(٥١)
يُشِيرُ الشَّاعِرُ السَّيِّدُ حَيْدَرَ الْحَلِيِّ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ إِلَى انْحِرَافِ السُّلْطَةِ الْأُمَوِيَّةِ
وَجَلَاوِزَتِهِمْ، وَمَا فَعَلُوهُ مِنْ أَعْمَالٍ شَاذَةٍ بِحَقِّ أَهْلِ بَيْتِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمَا تَعَرَّضَ لَهُ آلُ
بَيْتِ الرَّسُولِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مِنْ أَعْمَالٍ تَعَسُفِيَّةٍ وَظَلَمٍ مُمْنَهْجٍ ضَدَّهُمْ، وَمَا نَالَهُمْ مِنْ قَتْلِ ذُرِّيَعٍ، وَسَبِي
وَتَنْكِيْلِ لِلنِّسَاءِ وَهَتِكِ لِلْحُرْمَاتِ؛ بِحَيْثُ أَذْوَا الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَهْلِهِ وَأَصْحَابِهِ يَوْمَ

عاشوراء، وداست الخيل ذلك الجسد الشريف، ووَسَدَ هذا الجسد الطاهر على رمضاء كربلاء، من غير أن يرعى لأهل البيت عليهم السلام حرمة. وتحدّث الشاعر في هذه القصيدة أيضاً عن لحظة استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه الكرام، وطريقة تعامل هذه العصابات الإجرامية مع حامل الرسالة المحمّدية، مُشيراً إلى قلوب جلاوزة يزيد التي هي كالحجارة أو أشدّ قسوة، ولقد تحجّرت في قلوبهم الغليظة كُلُّ معالم الإنسانية، بحيث كانوا يضربون الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه النجباء بالرماح والسيوف حتى لفظوا أنفاسهم الأخيرة، ثمّ أقبل القوم على سلبهم، فنهبوا مطارفهم بعد استشهادهم، قال الشاعر:

[من الكامل والقافية من المتدارك]

ما حال عافرة الجسومِ على الثرى
 نهبت سيوفُ أميّةٍ أعضاءها
 هتك الطغاة على بناتِ محمدٍ صلى الله عليه وآله
 حُجِبَ النُّبُوَّةُ خِدرها وخِباءها
 فتنازعت أحشاءها حُرُقُ الجوى
 وتجاذبت أيدي العدوِّ رداءها^(٥٢)

ومن الجدير بالذكر هنا هو إفادة الشاعر في هذه الاستعارات لوصف أعمال يزيد وجلاوزته الوحشية، وهي كالآتي: «نهبت السيوف»، و«تنازعت أحشاءها».

وكما قال السيد حيدر في هذا الحقل منشداً:

[من الكامل، والقافية من المتدارك]

فَكَسَّتْهُ مَسْلُوبَ الْمَطَارِفِ نَقَعَهَا

وَسَقَّتْهُ ظَمَانُ الْحِشَا سَمَرَاءَهَا^(٥٣)

وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضًا قَوْلُ الشَّاعِرِ:

[من الطويل، والقافية من المتواتر]

فَنَادَتْ عَلَيْهِ حِينَ أَلْفَتْهُ عَارِيًّا

عَلَى جِسْمِهِ تَسْفِي صَبَا الرِّيحِ مَا تُسْفِي^(٥٤)

صَوَّرَ لَنَا السَّيِّدَ حَيْدَرَ جَوَانِبِ أُخْرَى مِنْ مَظْلُومِيَّةِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَهْلِ بَيْتِهِ الْكَرَامِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فِي الْآيَاتِ الْمُنْصَرِّمَةِ، وَيَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نُشِيرَ هُنَا إِلَى بَعْضِ مِنْ هَذِهِ الصُّوَرِ الْمَأْسَاوِيَّةِ، وَهِيَ كَالآتِي: «تَرَكَ الْجَسَدَ الشَّرِيفَ مُقَطَّعًا بِالسِّيُوفِ إِرْبًا إِرْبًا عَلَى رَمَضَاءِ كَرِبْلَاءَ»، وَ«انْتَهَاكَ حَرَمَاتِ اللَّهِ»، وَ«عَطَشَ بَنَاتُ آلِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، وَ«سَلَبَ الْمَطَارِفَ». أَرَادَ الشَّاعِرُ السَّيِّدَ حَيْدَرَ الْحَلِيِّ مِنْ خِلَالِ تَجْسِيدِهِ لِهَذِهِ الصُّوَرِ الشَّعْرِيَّةِ أَنْ يُعَبِّرَ عَنِ الْأَحَاسِيْسِ الْحَزِينَةِ الْكَامِنَةِ فِي أَعْمَاقِهِ؛ لِكَيْ يُسَاهِمَ بِالْأَجْرِ مَعَ الْمَوَالِينِ، وَيُشَاطِرَهُمْ أَلْمَهُمْ وَأَحْزَانَهُمْ فِي هَذَا الْمَصَابِ الْجَلِيلِ.

أَكَّدَ الشَّاعِرُ بِهَذِهِ الْآيَاتِ قَسَاوَةَ قُلُوبِ الْأَعْدَاءِ، وَكَيْفَ أَلْمَهُمْ لَمْ يُرَاعُوا لآلَ بَيْتِ الرَّسُولِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ حُرْمَةَ، فَإِنَّ جَلَاوِزَةَ يَزِيدَ بِأَعْمَالِهِمُ الشَّنِيعَةَ وَقَتْلَهُمْ لِلْإِمَامِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَصْحَابِهِ الْكَرَامِ، كَأَنَّهُمْ أَرَدُوا الْحُصُولَ عَلَى الْخُلُودِ الْأَبَدِيِّ، وَلَكِنْ سَرَعَانَ مَا تَبَدَّدَتْ أَحْلَامُهُمْ، وَظَهَرَتْ لَهُمُ الْحَقِيقَةُ، فَكَانَتْ كُلُّ مَسَاعِيهِمْ هَبَاءً مَنُورًا.

وَذَكَرَ الشَّاعِرُ أَيْضًا أَنَّ ظَلَمَ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ ضَمَّنَ سَلْسَلَةَ الظُّلْمِ الْقَدِيمِ لِمَحَمَّدٍ وَابْنَتِهِ فَاطِمَةَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، بِحَيْثُ رُضَّ ضَلَعُ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ بَعْدَ اقْتِحَامِ بَيْتِهَا وَإِحْرَاقِ

باب دارها بالنار وعصرها وراء الباب. وقد أشار الشاعر بذلك إلى مدى شراسة وفظاظة زمرة يزيد المارقة في تعاملهم مع الإمام السجاد عليه السلام، فإنهم لم يرحموا حتى عليل كربلاء، فكان الإمام زين العابدين عليه السلام مقيداً بالحديد ويحدو به الأعداء من بلد إلى بلد، فاستباحوا الحرمات وسفكوا الدماء وارتوت رمال صحراء كربلاء من دماء الشهداء، وهم أجسادٌ وأشلاءٌ مطروحةٌ على رمضاء كربلاء، وإذا نظرنا إلى هذه القضية من جانب آخر فس نجد أن جلاوزة يزيد هتكوا أيضاً ستور نساء آل بيت الرسول عليه السلام، وضربوهن بالسياط غير مكترثين بحرمتهن، فكان قلب السيدة زينب عليها السلام متصدعاً من الحزن والأسى؛ لما شاهدته من أحداث فادحة ومؤلمة في معركة الطف الدامية، بحيث كان أهل بيتها مضرّجين بدمائهم حولها، ورؤوسهم أمامها على رؤوس الرماح طول الطريق، فأغرورت عينها بالعبرات حُزناً على أهل بيتها عليهم السلام، قال الشاعر:

[من الطويل، والقافية من المتدارك]

فيوم غدوا بغياً على دار فاطم
أت جندهم بالغازية تزحف
وقتل ابنها من يوم رضى ضلوعها
ومن هتكها هتك الفواطم يعرف
ومن يوم قادوا حيدر الطهر قد غدوا
بهن أسارى شأنهن التلهف
فمن مخبر المختار أن بقية الـ
آل الفتى السجاد بالقيد يرسف
ومن مبلغ الزهراء أن بناتها
عليها الرزايا والمصائب عُكف

تطوف بها الأعداء في كل بلدة
فمن بلد أضحت لآخر تقذفُ
إذا رأت الأطفال شعثًا وجوهها
وألوانها من دهشة الرزء تخطفُ^(٥٥)
وأنشد الشاعرُ أيضًا في هذا السياق قائلًا:

[من مجزوء الكامل، والقافية من المتواتر]

وبناتُ فاطمة عليها السلام غَدَت
حَسْرَى تَجَاوَبُ بِالنِّيَاحِ
أَضَحَّتْ بِأَجْرَدَ صَفْصَفِ
مُتَوَقِّدِ الرَّمَضَاءِ ضَاحِي^(٥٦)

وَتَكَلَّمَ الشاعر السيد حيدر الحليُّ أيضًا في هذه القصيدة على فِطَاعَةِ
مَا أَصَابَ السَّيِّدَةَ الْعَقِيلَةَ عليها السلام مِنْ مُلْمَاتٍ، مُصَوِّرًا قَسَاوَةَ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ فِي كَرْبَلَاءَ،
وَمَا تَمَخَّضَ عَنْهَا مِنْ بُكَاءِ السَّيِّدَةِ زَيْنَبَ عليها السلام حُزْنًا عَلَى أَهْلِ بَيْتِهَا عليهم السلام؛ وَذَلِكَ لِمَا
ارْتَكَبَتْهُ هَذِهِ الْعَصَابَاتُ الْإِجْرَامِيَّةُ مِنْ جَرَائِمٍ وَفِطَائِعٍ فِي كَرْبَلَاءَ، وَلَمَسْتَهَا السَّيِّدَةُ
زَيْنَبَ عليها السلام بِأَيْدِيهَا عَنْ كَثْبٍ، وَهَذِهِ مِنَ الْمَصَائِبِ الَّتِي لَا يَنْشُدُ الصَّبْرَ فِي مِثْلِهَا،
بِحَيْثُ لَمْ يَنْجُ أَيُّ أَحَدٍ مِنْ هَذَا الْاضْطِهَادِ الْأُمُوِيِّ، فَضَجَّتِ السَّيِّدَةُ الطَّاهِرَةُ عليها السلام
بِالنَّحِيبِ:

[من الطويل، والقافية من المتواتر]

وقد كان من فرط الخفارة صوتها
يغض، فغض اليوم من شدة الضعفِ

وهاتفه ناحت على فقد إلفها

كما هتفت في الدوح فاقدة الألف^(٥٧)

وقال الشاعر السيد حيدر الحلبي أيضًا:

[من الرمل، والقافية من المتواتر]

ونوع برزت من خدرها

تلزم الأيدي أكبادًا وجالا

كم على النعي لها من حنة

كحنين النيب فارقن الفصالا

كبنات الدوح تبكي شجوها

وغوادي الدمع تنهل انبالا^(٥٨)

بدأت غربة السيِّدة زينب عليها السلام بعد قتل أمها السيِّدة الزهراء عليها السلام، ثمَّ ازدادت باستشهاد أبيها الإمام علي عليه السلام وأخيها الحسن عليه السلام، لكن عانت الغربة بما تعنيه الغربة وما تحمل من ألم حين قتل الإمام الحسين عليه السلام، وسُيِّت وُسِّتت وأُحْرِقت الخيام وُضْرِبَت الأيتام وقُتِل كافلها وحادي ضعنها وحاميها العباس عليه السلام، كانت مخدرة بني هاشم عليهم السلام، لا يرى ظلُّها ولا يسمع صوتها أحد، ولكنها رجعت محنية الظهر، مسودة المتن، مغبرة الوجه، ومكسورة مهضومة، بعدما كانت دارها عامرة زهية مضيئة بنور أهل بيت النبوة عليهم السلام، ومن هذا المنطلق قال الشاعر السيد حيدر الحلبي منشدًا:

[من الكامل، والقافية من المتواتر]

وأجل يوم بعد يومك حل في

الإسلام منه يشيب كل جنين

يوم سرت أسرى كما شاء العدى
فيه الفواطم من بني ياسين
أبرزن من حرم النبي وإنه
حرم الإله بواضح التبين
من كلّ محصنة هناك برغمها
أضحت بلا خدر ولا تحصين
سلبت وقد حجب النواظر نورها
عن حروجه بالعفاف مصون
قذفت بهن يد الخطوب بقفرة
هيام صالية المهجير شطون
فغدت بها جرة الظهيرة بعدما
كانت بفياح الظلال حصين^(٥٩)

وَذَكَرَ لَنَا الشَّاعِرُ السَّيِّدُ حَيْدَرُ الْحَلِيِّ أَيْضًا فِي هَذِهِ الْأَيَّاتِ أَحْوَالَ أَهْلِ بَيْتِ
الرِّسَالَةِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَ الْإِسَارَةِ، مُصَوِّرًا بِهَا الْأَضْطِّهَادَ الَّذِي تَعَرَّضُوا لَهُ، وَمَا جَرَى عَلَيْهِمْ
مِنْ مِحْنِ شَاقَّةٍ وَمِصَائِبِ جَسِيمَةٍ ارْتَكَبَهَا هَؤُلَاءِ الْكُفْرَةَ الْفَجْرَةَ، وَكَيْفَ تَعَامَلُوا مَعَ عَلِيلِ
كِرْبَلَاءِ - الْإِمَامِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ - كَمَا أَسْلَفْنَا، وَيُشِيرُ الشَّاعِرُ أَيْضًا فِي الْقَصِيدَةِ الْآتِيَةِ
إِلَى سَبِيِّ نِسَاءِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَكَيْفَ يَجِدُوهُنَّ مِنَ الْأَعْدَاءِ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ وَقَدْ هَتَكَتْ
سُتُورَهُنَّ، قَائِلًا:

[من الطويل، والقافية من المتدارك]

بلا كافلٍ تطوي المهامه في السرى
وأئى لها بعد ابن أحمد كافل^(٦٠)

[من السريع، والقافية من المتدارك]

تُساقطُ الأدْمَعُ أَجْفَانُهَا
كالجمرِ عن ذوبِ حشا أَلْهَبَا
فَدَمْعُهَا لَوْ لَمْ يَكُنْ مُحْرَقًا
عَادَ بِهِ وَجْهُ الثَّرَى مُعْشِبَا^(٦١)

[من الكامل، والقافية من المتدارك]

عَجَبًا لِحِلْمِ اللَّهِ وَهِيَ بِعَيْنِهِ
بَرَزَتْ تُطِيلُ عَوِيلَهَا وَبُكَاءَهَا^(٦٢)

خامسًا: عدم نصره الإمام الحسين عليه السلام

يستمرُّ الشاعر السيد حيدر الحليُّ في حديثه عن بسالة الإمام الحسين عليه السلام وتضحيته في سبيل العزة والكرامة، ثمَّ ينعطف ويقول بأنَّ القوم تخلوا عن الإمام الحسين عليه السلام ولم ينصروه، فهكذا وقف الأمويون في وجه سبط الرسول صلى الله عليه وآله وحامل الرسالة المحمدية، وهو مُنفردٌ وحيدٌ غريبٌ في ساحة المعركة لا ناصرَ له ولا مُعين؛ ويُشير الشاعرُ أيضًا إلى فظاعة المصاب والملمات، إذ إنَّهم لم يألوا جُهدًا في إيذاء أهل البيت عليهم السلام، ولكن الإمام الحسين عليه السلام لم يشعر بهذا الأمر من الناحية المعنوية والعزيمة الصارمة والقيم النبيلة التي كانت لديه، وذلك لأنَّه يشعر أنَّه مع الله، ومن كان مع الله كان الله معه، وقال اللهُ تعالى في هذا الصدد: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾^(٦٣). قال:

[من الطويل، والقافية من المتدارك]

ومن بعدهم يعسوب هاشم قد غدا
فريدًا عن الدين الحنيف يقاتل^(٦٤)

وَأَنشُدُ السَّيِّدَ حَيْدَرَ فِي هَذَا الْمَضْمَارِ قَائِلًا:

[من البسيط، والقافية من المتركب]

تَنعَى إِلَيْكَ دِمَاءً غَابَ نَاصِرُهَا
حَتَّى أَرَيْقَتَ وَلَمْ يَرْفَعْ لَكُمْ عِلْمُ
مَسْفُوحَةٌ لَمْ تَجِبْ عِنْدَ اسْتِغَاثَتِهَا
إِلَّا بِأَدْمَعٍ تُكَلِّي شَفَّهَا الْأَلْمُ^(٦٥)
وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضًا قَوْلُ الشَّاعِرِ:

[من الطويل، والقافية من المتواتر]

فَتَلِكْ عَلَى الرَّمْضَاءِ صَرَعَى جِسْمَهُمْ
وَنَسَوْتَهُمْ هَاتِيكَ أَسْرَى عَلَى الْعَجْفِ
وَهَلْ يَمْلِكُ الْمُوتُورُ قَائِمَ سَيْفِهِ
لِيُدْفِعَ عَنْهُ الضَّمِيمَ وَهُوَ بِلَا كَفِّ؟^(٦٦)

سادسًا: ذكر هول مُصيبة كربلاء

يَتَحَدَّثُ الشَّاعِرُ السَّيِّدُ حَيْدَرُ الْحَلِّيُّ هُنَا عَنْ وَقَائِعِ مَعْرَكَةِ الطِّفِّ وَعَلَى أَبْعَادِ هَذِهِ
الْمَأْسَاةِ الْإِنْسَانِيَةِ الَّتِي لَمْ يَعْرِفْ لَهَا التَّارِيخُ مِثِيلًا، فَكَانَ الْجَمِيعُ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ حَزِينًا
عَلَى مِصَابِ سَيِّدِ الشَّهَدَاءِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَقَدْ نَاحَتْ وَبَكَتْ كُلُّ أَمْلَاكِ السَّمَاءِ وَكَانَتْ الْجَنِّ
وَالطَّيْرِ وَالْوَحُوشِ الْمَفْتَرَسَةَ أَيْضًا تَبْكِي وَتَرْتِي الْإِمَامَ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ وَذَلِكَ لِمَا جَرَى
عَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مِنْ شِدَائِدِ وَحْنٍ شَاقَّةٍ وَمِصَائِبِ جَسِيمَةٍ فِي سَاحَةِ الْوُغَى. قَالَ
الشَّاعِرُ:

[من الكامل، والقافية من المتدارك]

فَلَا يَمُومُ تَنْعَى الْمَلَائِكُ مَنْ لَهُ
عَقَدَ الْإِلَهِ وِلَاءَهُمْ وَوَلَاءَهَا؟
أَلْأَدَمِ تَنْعَى؟ وَأَيْنَ خَلِيفَةُ الْ
رَّحْمَنِ أَدَمُ عليه السلام كِي يُقِيمَ عِزَاءَهَا؟
... لَا أَبْيَضُ يَوْمٌ بَعْدَ يَوْمِكَ إِنَّهُ
تَكَلَّتْ سَمَاءُ الدِّينِ فِيهِ ذُكَاءَهَا
يَوْمٌ عَلَى الدُّنْيَا أَطْلَّ بِرُوعَةٍ
مَلَأَتْ صُرَاخًا أَرْضَهَا وَسَمَاءَهَا
وَاسْتَكَّ مَسْمَعُ خَافِقِيهَا مُذْ بِهَا
هَتَفَ النَّعْيِ مُطَبِّقًا أَرْجَاءَهَا ^(٦٧)
وَقَالَ الشَّاعِرُ أَيْضًا فِي قَصِيدَةٍ أُخْرَى مُنْشِدًا:

[من مجزوء الكامل، والقافية من المتواتر]

وَتَجَاوَبَتْ فَوَقَّ السَّمَاءُ
غُرَّ الْمَلَائِكِ بِالنِّيَّاحِ
جَزَعًا لِيَوْمٍ فِيهِ قَدْ
غَلَبَ الْفَسَادُ عَلَى الصَّلَاحِ ^(٦٨)
وَمِنْ هُنَا نَرَى بِأَنَّ الشَّاعِرَ السَّيِّدَ حَيْدَرَ الْحَلِيِّ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ اسْتَعَارَ اللَّفْظَ الدَّالَّ
عَلَى الْمَشَبَّهِ بِهِ لِلْمَشَبَّهِ، ثُمَّ حَذَفَ الْمَشَبَّهَ وَأَشَارَ إِلَيْهِ بِشَيْءٍ مِنْ لَوَازِمِهِ، وَهُوَ الْبُكَاءُ
وَالصَّرَاخُ عَلَى طَرِيقِ الْاسْتِعَارَةِ بِالْكُنْيَةِ، مِمَّا يَمْلَأُ فُؤَادَ الْمُتَلَقِّي أَلَمًا وَحُزْنًا، وَإِثْبَاتَ ذَلِكَ

الأمر للمشبه استعارة تخيلية.

هذه إضمامة من أهمّ جوانب الرثاء الحسيني في شعر السيّد حيدر الحلّي، ومن هذا المنطلق تحدّث الشاعر في قصائده عن مدى تأثره الشديد بأحداث معركة الطفّ الداميّة وما تحمل في طيّاتها من مُلِمّات ومصائب جسيمة ونكبات؛ وكذلك بثّ الشاعر في قصائده حُزنه الكامن في أعماقه، وذلك لما أصاب أهل بيت الرسالة في ذلك اليوم الدامي من مُلِمّات تُفت حشا الصابر، وكيف تأمرت قادة الطُّغاة وجلاوزتهم الكفرة الفجرة على سبط النبي الأكرم ﷺ والأبرياء العزل من أهل بيته النُجباء عليهم السلام.

الخاتمة

الخصائص التي أتضحَت فيدراستنا على ما تقدّم لرثاء الإمام الحسين عليه السلام في شعر السيد حيدر الحليّ، هي كالآتي:

١. صَوَّرَ لنا الشاعر جوانب من أحداث معركة الطفّ الدامية بحذافيرها، ومن أهمّ النتائج التي توصلنا إليها من هذه الدراسة: بيان مظلومية آل بيت الرسول صلى الله عليه وآله، والمحن الشاقّة والمصائب الجسيمة التي جرت عليهم في زمن السلطة الأمويّة وجلاوزتهم الكفرة الفجرة، وتجاوز الشاعر في رثائه من ذكر المأساة والمحن الشاقّة والنكبات والمصائب الجسيمة إلى رفض جور واضطهاد السلطة الأمويّة وأعمالهم التعسفيّة، والمطالبة بالثورة على قادة الطغاة والهيمنة.

٢. كانت جميع أشعار السيد حيدر الحليّ مرآة لخُلجات نفسه وانتهاءاته الفكريّة وقيمه الدينيّة، واصفًا حُبّه لآل بيت النبوّة عليهم السلام؛ لذا سارَ الشاعر على خُطى القدماء في رثاء الإمام الحسين عليه السلام، جاعلاً الأئمّة الأطهار عليهم السلام أسوة حسنة للحياة البسيطة المليئة بالمفاخر، ومن هذا المنطلق رَسَمَ الشاعر بشعره صورة سيّد الشهداء عليه السلام الحقيقيّة، مُشيرًا إلى مضامين خُلقيّة كان يتّخذها الإمام الحسين عليه السلام، لِمَ شمل المسلمين، مؤكّدًا على اتّخاذها اليوم، من جملتها الشجاعة، وتحسّر الشاعر أيضًا في قصائده على الأيام الماضية التي كان

الإسلام فيها بعزٌّ وشموخ.

٣. أضاف الشاعر إلى قصائده التي رثى بها الإمام الحسين عليه السلام طابع الابتكار وروعة الجمال، فأخذت قصائده بمجامع القلوب، وذلك ببراعة خلقه للصور الشعرية الرائعة التي توأمت التطورات لهذه الحقيقة التاريخية ومزجها بالطابع الملحمي الذي ألبس الموضوع ثوباً جديداً، وجعل لشعره الحسيني مكانة متميزة متفوقة.

٤. حاول الشاعر بمشاعره المرهفة الرقيقة إيصال صورة موجزة إلى المتلقي بشكلٍ أو بآخر عن أحداث كربلاء وملامتها التي تُدمي القلوب، متخذاً هذا الشيء حافزاً للإثارة أحاسيس القلوب النابضة بالحب لآل بيت النبوة عليهم السلام.

٥. كان الشاعر يمزج عواطفه الصادقة التي تندفق ينابيعها من داخله بألفاظه السهلة البسيطة التي تحمل معاني كبيرة وأغراضاً سامية، فاناز شعره بدقة التعبير وبلاغته، وفصاحة وروعة البيان وقوته، وجزالة الأسلوب ورسائنه ونصاعته، وحسن الصياغة والديباجة، والوضوح في الألفاظ، والبراعة في التصوير؛ ليتخذ الشعر وسيلةً للوصول إلى أهدافه العالية، وهي بيان مظلومية أهل البيت عليهم السلام في معركة الطف الدامية.

هوامش البحث

- (١) السيد محمد رضا الحسيني الشيرازي، الإمام الحسين عظمة إلهية وعطاء بلا حدود، دار العلوم، كربلاء، د.ت: ٨.
- (٢) محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، ج ٥، ط ٦، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٨م: ٩٧.
- (٣) جعفر باقر الحسيني، تاريخ الأدب العربي؛ أدب صدر الإسلام، ط ١، دار الاعتصام، قم، ١٤١٦هـ.ق: ٢٤٣.
- (٤) پوريانپور، سمير، نوائح نجوم السماء في مصائب عاشوراء، ط ١، قم، دار نشر طوباي محبت، ١٤٣٥هـ.ق: ٤٣.
- (٥) محمد سراج الدين، الرثاء في الشعر العربي، دار الراتب الجامعية، بيروت، د.ت: ٦.
- (٦) ضيف، شوقي، دراسات في الشعر العربي المعاصر، ط ١٠، القاهرة، دار المعارف، ٢٠٠٣م: ١٩.
- (٧) ضيف، شوقي، شوقي شاعر العصر الحديث، القاهرة، دار المعارف، د.ت: ٤١.
- (٨) البارودي، محمود سامي، ديوان البارودي، باهتمام علي عبدالمقصود عبد الرحيم، ط ١، بيروت، دار الجليل، ١٩٩٥م: ١٤٥.
- (٩) جواد شبر، أدب الطف أو شعراء الحسين عليه السلام، ط ١، مؤسسة التاريخ، بيروت، ٢٠٠١م: ١٠/١ - ١١.
- (١٠) نزار آل سنبل، أهل البيت عليهم السلام في الشعر القطيفي المعاصر، المركز الثقافي للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٣م: ١٥٩.
- (١١) سورة الحج، آية: ٣٢.
- (١٢) الشيخ محمد مهدي شمس الدين، واقعة كربلاء في الوجدان الشعبي، ط ٢، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٦م: ١٤٨.
- (١٣) سورة الحجر، آية: ٦.
- (١٤) علي حسين يوسف، الإمام الحسين بن علي عليه السلام في الشعر العراقي الحديث، ط ١، العتبة الحسينية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، كربلاء المقدسة، ٢٠١٣: ١٧٢.
- (١٥) شبر، المصدر السابق: ١٠/١.
- (١٦) شمس الدين، المصدر السابق: ١٤٩.

- (١٧) السيّد حسن نور الدين، عاشوراء في الأدب العامليّ المعاصر، الدار الإسلاميّة، لبنان، ١٩٨٨ م: ٨٣.
- (١٨) عليّ كاظم المصلاويّ، الطفّيّات المقلّوة والإجراء النقديّ، الطبعة الأولى، العتبة الحسينيّة المقدّسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، كربلاء المقدّسة، ٢٠١٢ م: ١٨.
- (١٩) المصدر نفسه: ٢٥.
- (٢٠) السيّد محسن الأمين، أعيان الشيعة، حَقَّقَهُ وأخْرَجَهُ حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٣ م: ٢٦٦/٦.
- (٢١) جواد شبر، أدب الطفّ أو شعراء الحسين عليه السلام: ٨/٨.
- (٢٢) خير الدّين الزركليّ، الأعلام، الطبعة الخامسة عشرة، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢ م: ٢٩٠/٢.
- (٢٣) الشيخ محمّد الساويّ، الطليعة من شعراء الشيعة، حَقَّقَهُ كامل سلمان الجبوريّ، ط ١، دار المؤرّخ العربيّ، بيروت، ٢٠٠١ م: ٢٩٧/١.
- (٢٤) الأمين، المصدر السابق: ٢٦٦/٦.
- (٢٥) الشيخ محمّد عليّ اليعقوبيّ، شعراء الحِلَّة أو البابلّيّات، مطبعة الزهراء، النجف الأشرف، د.ت: ١٥٥/٢.
- (٢٦) المصدر نفسه.
- (٢٧) الزركليّ، المصدر السابق: ٢٩٠.
- (٢٨) السيّد حيدر الحليّ، الديوان، تحقيق الدكتور مُصّر سليمان الحليّ، ط ١، دار الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، ٢٠١١ م: ١٢/١.
- (٢٩) شبر، المصدر السابق: ١٥/٨.
- (٣٠) عبد العزيز سعود بابطين، شعراء الحِلَّة في معجم البابطين لشعراء العربيّة في القرنين التاسع عشر والعشرين، جمعه وعلّق عليه مهدي عبد الأمير مفتن الكطراي، مركز بابل للدراسات الحضاريّة والثقافية، بابل، د.ت: ١١٢.
- (٣١) الحليّ، المصدر السابق: ١٣٣.
- (٣٢) المصدر نفسه: ٩٤.
- (٣٣) سورة الإنسان، آية: ٨.
- (٣٤) الحليّ، المصدر السابق: ٧٨.
- (٣٥) المصدر نفسه: ٦٧.
- (٣٦) المصدر نفسه: ١٤٧.
- (٣٧) المصدر نفسه: ١٥٢.
- (٣٨) المصدر نفسه: ٧٠.

- (٣٩) المصدر نفسه: ٨٣.
(٤٠) المصدر نفسه: ١٥٢.
(٤١) المصدر نفسه: ١٢٩-١٣٠.
(٤٢) سورة المنافقون، آية: ٨.
(٤٣) الحلبي، المصدر السابق: ٨٨.
(٤٤) المصدر نفسه: ٩٤.
(٤٥) المصدر نفسه: ١٣٣-١٣٤.
(٤٦) المصدر نفسه: ١٥٢.
(٤٧) المصدر نفسه: ٩٠.
(٤٨) المصدر نفسه: ١٢١.
(٤٩) سورة المائدة، آية: ٧٠.
(٥٠) الحلبي، المصدر السابق: ٦٧.
(٥١) المصدر نفسه: ١٤٣.
(٥٢) المصدر نفسه: ٧٠-٧١.
(٥٣) المصدر نفسه: ٦٧.
(٥٤) المصدر نفسه: ١٣٩.
(٥٥) المصدر نفسه: ١٣٥-١٣٦.
(٥٦) المصدر نفسه: ٩٥.
(٥٧) المصدر نفسه: ١٣٩.
(٥٨) المصدر نفسه: ١٤٩.
(٥٩) المصدر نفسه: ١٦٥.
(٦٠) المصدر نفسه: ١٤٢.
(٦١) المصدر نفسه: ٨٦.
(٦٢) المصدر نفسه: ٧١.
(٦٣) سورة محمد، آية: ٧.
(٦٤) الحلبي، المصدر السابق: ١٤٢.
(٦٥) المصدر نفسه: ١٥٢.
(٦٦) المصدر نفسه: ١٣٨.
(٦٧) المصدر نفسه: ٦٥-٦٦.
(٦٨) المصدر نفسه: ٩٤.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١. آل سنبل، نزار، أهل البيت عليهم السلام في الشعر القطيفي المعاصر، المركز الثقافي للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٣م.
٢. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ج ٥، الطبعة السادسة، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٨م.
٣. الأمين، السيد محسن، أعيان الشيعة، حَقَّقَهُ وَأَخْرَجَهُ حَسَنُ الْأَمِين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٣م.
٤. بابطين، عبد العزيز سعود، شعراء الحلة في معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين، جمعه وعلّق عليه مهدي عبد الأمير مفتن الكطرافي، مركز بابل للدراسات الحضارية والثقافية، بابل، د.ت.
٥. البارودي، محمود سامي، ديوان البارودي، باهتمام عليّ عبد المقصود عبد الرحيم، الطبعة الأولى، دار الجليل، بيروت، ١٩٩٥م.
٦. پوريانپور، سمير، نوائح نجوم السماء في مصائب عاشوراء، الطبعة الأولى، دار نشر طوباي محبّت، قم، ١٤٣٥هـ.ق.
٧. الحسيني، جعفر باقر، تاريخ الأدب العربي؛ أدب صدر الإسلام، الطبعة الأولى، دار الاعتصام، قم، ١٤١٦هـ.ق.
٨. الحسيني الشيرازي، السيد محمد رضا، الإمام الحسين عظمة إلهية وعطاء بلا حدود، دار العلوم، كربلاء، د.ت.
٩. حسين يوسف، عليّ، الإمام الحسين بن عليّ عليهما السلام في الشعر العراقي الحديث، الطبعة الأولى، العتبة الحسينية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، كربلاء، ٢٠١٣م.
١٠. الحليّ، السيد حيدر، الديوان، ج ١، تحقيق الدكتور مُصّر سليمان الحليّ، الطبعة الأولى، دار نشر الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ٢٠١١م.
١١. الزركليّ، خير الدين، الأعلام، ج ٢، الطبعة الخامسة عشرة، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢م.

١٢. سراج الدين، محمد، الرثاء في الشعر العربي، دار الراتب الجامعية، بيروت، د.ت.
١٣. السّماوي، الشيخ محمد، الطليعة من شعراء الشيعة، ج ١، حَقَّقَهُ كامل سلمان الجبوري، الطبعة الأولى، دار المؤرّخ العربي، بيروت، ٢٠٠١م.
١٤. شبر، جواد، أدب الطفّ أو شعراء الحسين عليه السلام، ج ١ و ٨، الطبعة الأولى، مؤسّسة التاريخ، بيروت، ٢٠٠١م.
١٥. شمس الدين، الشيخ محمد مهدي، واقعة كربلاء في الوجدان الشعبي، الطبعة الثانية، المؤسّسة الدولية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٦م.
١٦. ضيف، شوقي، دراسات في الشعر العربي المعاصر، الطبعة العاشرة، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠٣م.
١٧. المصلاوي، عليّ كاظم، الطفّيات المقولة والإجراء النقديّ، الطبعة الأولى، العتبة الحسينية المقدّسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، كربلاء المقدّسة، ٢٠١٢.
١٨. نور الدين، السيّد حسن، عاشوراء في الأدب العاملي المعاصر، الدار الإسلامية، لبنان، ١٩٨٨م.
١٩. اليعقوبي، الشيخ محمد عليّ، شعراء الحلة أو البابلّيات، ج ٢، مطبعة الزهراء، النجف الأشرف، د.ت.